



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى
جيجل (الجزائر)



قسم: اللغة والأدب العربي

كلية: الآداب واللغات

محاضرات في مقياس السانبات العالمية

مؤلفة إلى طالبة السنة الثانية ليسانس

شعبة: دراسات لغوية

الفوج:

03 + 04

إعداد الدكتور محمد بن خنصر

السنة الجامعية: 2024 - 2025



مفردات مقياس: اللسانيات العامة

1	المحاضرة الأولى: تاريخ الفكر اللساني: (الهنود، اليونان، والعرب)
2	المحاضرة الثانية: مفاهيم عامة (اللسانيات: العلم، الموضوع، والمنهج)
3	المحاضرة الثالثة: مدخل اصطلاحي
4	المحاضرة الرابعة: البنية في الدرس اللغوي الحديث
5	المحاضرة الخامسة: ثلاثية "اللغة/ اللسان/ الكلام- المفهوم والعلاقة" (محاضرة تمهيدية لثنائيات فرديناند دي سوسير)
6	المحاضرة السادسة: ثنائيات "فرديناند دي سوسر" (01) (اللغة والكلام، الدال والمدلول)
7	المحاضرة السابعة: ثنائيات "فرديناند دي سوسر" (02) (الآنية والتاريخية، الاستبدال والتركيب)
8	المحاضرة الثامنة: خصائص اللسان البشري
9	المحاضرة التاسعة: اللسانيات والتواصل اللغوي
10	المحاضرة العاشرة: مستويات التحليل اللساني (01): المستوى الصوتي
11	المحاضرة الحادية عشر: مستويات التحليل اللساني (02): المستوى الصرفي
12	المحاضرة الثانية عشر: مستويات التحليل اللساني (03): المستوى الصوتي
13	المحاضرة الثالثة عشر: مستويات التحليل اللساني (04): المستوى الصوتي
14	المحاضرة الرابعة عشر: الدراسات اللسانية العربية الحديثة

أستاذ المقياس

محمّد بولخطوط



بسم الله الرحمن الرحيم
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى. جيجل (فرع تاسوست)
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



ملاحظات في اللسانيات العامة

المستوى: الثانية ليسانس
الشعبة: دراسات لغوية

المقدمة الأولى: مفاهيم عامة (اللسانيات: العلم، الموضوع، والمنهج)

أولاً: العلم

اللسانيات (علم اللغة): Linguistique/ Linguistics

هي الدراسة الوصفية والعلمية والموضوعية للغة البشرية

تحليل التعريف:

1. الوصفية: نسبة إلى المنهج الوصفي الاستقرائي الساكن (الثابت)، والذي طرحه "دي سوسير" مطلع القرن العشرين، وجاء به بدلا وعوضا عن المنهج التاريخي الذي ساد القرن التاسع عشر، فإذا كان المنهج التاريخي يدرس اللغة دراسة تعاقبية تطورية، فإنّ المنهج الوصفي يدرس اللغة دراسة آنية ثابتة في فترة زمنية محدّدة وفي مكان محدّد، يدرسها ويصفها كما هي موجودة في الواقع لا كما يجب أن تكون بعيد عن الأهواء والميولات الذاتية، ودون اعتبار للخطأ والصواب فيها.
2. العلمية: نسبة إلى العلم^(*)، بمعنى البحث أو الدراسة التي تستخدم الأسلوب العلمي القائم على المقاييس التالية: ملاحظة الظاهرة والتجريب والاستقراء، الاستدلال العقلي والعمليات الافتراضية والاستنتاجية.
3. الموضوعية: ومعناها يتوجّب على اللغوي/ اللساني أن يركّز اهتمامه أثناء الدراسة على الظاهرة اللغوية كما هي موجودة في الواقع لا كما يجب أن تكون، بعيدا عن العواطف الشخصية والأحاسيس الذاتية.
4. اللغة البشرية: أي اللغة الإنسانية التي يتعامل بها بني البشر قصد التواصل والتفاهم، وهذا المصطلح يحيل بأنّ اللسانيات علم عام وكلّي، يشمل جميع اللغات الإنسانية دون استثناء؛ الفصحى منها واللهجات العاميات، ... الخ.

(*)- العلم هو حصيلّة أبحاث ظاهرة ما موجودة في العالم الخارجي، وهو مجموعة القوانين الثابتة التي تفسّر كيفية اشتغال هذه الظاهرة.

ثانيا: الموضوع:

يقول "فرديناند دي سوسير" (*) في محاضراته محددا موضوع اللسانيات قائلا: «إن موضوع علم اللسان الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها».

وهذا ما يعرف بـ: مبدأ المحايثة (دراسة اللغة في ذاتها/ ومن أجل ذاتها)

حيث جاء به "دي سوسير" كرد فعل عما كان سائدا في الدراسات التاريخية والمقارنة خلال القرن 19م، والتي كانت تستخدم اللغة وسيلة وليست غاية، ولأجل ذلك طرح "دي سوسير" مطلع القرن 20م هذا البديل، الذي يستخدم اللغة وسيلة أثناء الدراسة من أجل الوصول إلى جملة أو مجموعة الخصائص اللغوية التي تميز اللغة. فما هو مفهوم اللغة؟

اللغة هي النظام القاعدي الموجود بالقوة في أذهان كل فرد من الأفراد، وهي الملكة الإنسانية المتمثلة في القدرات التي يمتلكها الإنسان، والتي تميزه عن سائر المخلوقات الأخرى، أو هي مجموعة من التواضعات اللازمة والملحة التي يتبناها المجتمع.

● اللغة عند دي سوسير: هي واقعة اجتماعية متواجدة في عقول الناس في شكل ضمني باطني، يقول: «إن اللغة توجد على شكل

(*) - فرديناند دي سوسير "Ferdinand de saussure"

ولد "فرديناند دي سوسير" في جنيف السويسرية يوم 26 نوفمبر عام 1857م، وتوفي في 22 فيفري من عام 1913م، عالم لغوي سويسري، ارتبط اسمه بميلاد علم اللغة العام، رغم أن القسم الأكبر من أعماله لم يصل إلينا، ولا نعرف عليه إلا أشياء عامة، والذي وصلنا هو كل ما استطاع تلاميذه نقله وتسجيله على شكل نقاط أثناء إلقاء أستاذهم لمحاضرات حول علم اللغة العام، والتي كانت في ثلاث حلقات ألقاها ما بين (1906م-1911م). وقد نُشر كتابه لأول مرة "محاضرات في اللسانيات العامة = Cours de linguistique générale" عام 1916م، أي بعد وفاته بثلاث سنوات، ومع أن الظروف التي ظهر فيها الكتاب لم تكن ملائمة بسبب الحرب العالمية الأولى، إلا أن الكتاب لقي اهتماما كبيرا وانتشارا واسعا، وعُدّ هذا الكتاب المرجعي: الكتاب الأم الذي أحدث ثورة علمية في العلوم الإنسانية، وفتح الباب أمام علمنة الظاهرة اللغوية، التي كانت تنصّف من قبل بالذاتية والتخمين والتأمل العقلي البعيد عن الموضوعية.

اشتهر "دي سوسير" كما أسلفنا بكتاب لم يكتبه، لأنه في أصله عبارة عن ملاحظات ونقاط سجلها بعض الطلبة، وتولّى اثنان منهما وهما: صاحب الأسلوبية التعبيرية "شارل بالي"، والثاني هو "ألير سيكاهاي" بجمعها، وطبعا فالكتاب يحوي على الشيء الكثير من كلام "دي سوسير"، رغم النقاشات الكثيرة التي ظهرت أول الأمر، لمحاولة فصل ما هو له وما هو لطلبته، كانت تلك النقاشات محطّ اهتمام كثير من علماء اللغة في أوروبا، خاصة وأن ما يعرف باللسانيات البنوية يرجع في أصله إلى هذا الكتاب، ولعلّ هذا الجدل ناتج أساسا عن كون "دي سوسير" لم يكن يهتم فقط بعلم اللغة العام، فربما كان هذا آخر ما يمكن أن ينسب إليه من الاختصاصات المتعددة التي كان يشتغل فيها، فقد كان شديد الاهتمام باللغات الهندو أوروبية وخاصة السنسكريتية، كما كان مهتمًا باللغة والأدب الألمانيين، وهو مؤلف كتاب شديد الأهمية حول الحركات "Les voyelles" نشره عام 1890م، وهو أيضا أستاذ النحو المقارن بجامعة الصربون، وبالرغم من هذا التعدد البحثي، إلا أن ما هو متفق حوله عند جميع الدارسين هو أن: "دي سوسير" هو الأب الحقيقي لللسانيات، لأنه وضّح اختصاصها ومناهجها، وأثرى الدراسات الإنسانية بكثير من الأفكار اللغوية الرائدة، حتى صارت اللسانيات باعتبارها نهضة علمية تولّد منها كثير من العلوم، كما اتّجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية، باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، وكانت اللغات تُدرس دراسة تاريخية ديانكرونية، وقد كان السبب في هذا التحول الخطير والجذري في دراسة اللغة: اكتشاف اللغة السنسكريتية.

و"دي سوسير" كان هو أول من عدّ اللسانيات فرعًا خاصًا من علم شامل هو: السيميائيات، أو ما يعرف بـ: علم العلامات/ علم الإشارات/

السيميولوجيا...

ملاحظة: تُرجم كتاب "فرديناند دي سوسير" إلى ثلاثين لغة عالمية عبر كل القارات والثقافات، منها اللغة العربية التي تُرجم إليها خمس مرّات هي:

- 1 - الترجمة التونسية: عام 1985م بعنوان: "دروس في الألسنية العامة" بإشراف: "صالح القرماضي".
- 2 - الترجمة العراقية: عام 1985م، بعنوان: "اللسانيات العامة" من طرف "جوال يوسف أسيس".
- 3 - الترجمة المصرية: عام 1985م، بعنوان: "فصول في اللسانيات العامة" من طرف "أحمد نعيم".
- 4 - الترجمة السورية: عام 1986م، موسومة بـ: "محاضرات في اللسانيات العامة"، من قِبَل "يوسف غازي".
- 5 - الترجمة المغربية: عام 1987م، بعنوان: "محاضرات في علم اللغة العام"، من قِبَل "عبد القادر القيني".

مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد، وهي لا تتأثر بإرادة المتكلمين، ويمكن صياغة وجودها على هذا النمط: $1=1+1+1+1$.

ومعنى هذا الكلام أنّ اللغة موجودة عند جميع الناس بكيفية موحدة، وهي تبقى واحدة لأنها موروث جماعي، كما أنّها عبارة عن تمثيلات ذهنية، أي أنّ وجودها في الذهن، ولأجل ذلك فهي ظاهرة غير مادية (غير ملموسة) بل باطنية مجردة.

اللغة عند "دي سوسير" عبارة عن نظام ترتبط فيه جميع أجزائها بعضها ببعض؛ بمعنى أنّ هذه العناصر لا معنى لها في ذاتها، وإنما معناها يتحدد في ارتباطها ببعضها البعض، وكل تغير يصيب عنصرا منها يؤثر على العناصر الأخرى بل وعلى النظام كله، وقد شبه "دي سوسير" النظام اللغوي بلعبة الشطرنج، فالقطع في اللعبة إنما تكتسب قيمتها حينما تكون لها صلة مع غيرها، فلا معنى للقطعة الواحدة إلا إذا كانت لها علاقة بغيرها داخل اللعبة، والدليل على ذلك أننا لو استبدلنا مثلا القطع الخشبية بقطع من العاج أو المعدن، فإنّ هذا التغيير لا يمسّ النظام، ولا يؤثر على قوانين اللعبة على العكس تماما إذا أنقصنا أو زدنا عدد القطع، فإنّ هذا التغيير يؤثر على قواعد اللعبة.

● اللغة عند "أبي الفتح عثمان بن جني": يعرف اللغة قائلا: «حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

يشير "ابن جني" في هذا المفهوم إلى الأبعاد المختلفة للغة، وهي البعد الفيزيائي من خلال لفظ الأصوات، البعد النفسي من خلال كلمة "يعبر"، البعد الاجتماعي ويظهر ذلك جلياً من خلال كلمة "قوم"، وكذا البعد الوظيفي التواصل في لفظ "أغراضهم".

● اللغة عند "نوام تشومسكي": يعرفها بقوله: «هي ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما، لتكوين وفهم جمل نحوية، أو هي جهاز توليد جميع الجمل الصحيحة في لغة ما».

تشير لفظة "فطرية" في هذا المفهوم إلى كون اللغة نظام موجود عند جميع البشر منذ ولادتهم، غير أنّ "تشومسكي" في هذا التعريف نجده قد ركّز أكثر على النحو، حيث كان يرى موقع النحو أو التركيب في اللغة بمثابة القلب في جسم الإنسان.

ثالثا: المنهج: (المنهج الوصفي الاستقرائي الثابت الساكن القائم على الأسلوب العلمي):

يقوم هذا المنهج على وصف لغة معينة في زمان ومكان محددين، دون اعتبار لمبدأ الخطأ أو الصواب فيها، فالباحث اللغوي يصف اللغة ويناقشها دون فلسفة أو إقحام للمنطق.

وعلى الباحث أن يحدّد أيضا المستوى اللغوي المقصود بالدراسة، إن كان صوتيا أو صرفيا أو نحويا أو دلاليا، وهذا التحديد هو من دواعي الدقة العلمية، لأنّ عدم تحديد زمن الدراسة أو مكانها، أو حتى المستوى اللغوي المدروس يؤدي بالباحث إلى الخلط، ومنه إلى نتائج مضلّة ومشكوك في صحتها (غير يقينية)، وكما سبقت الإشارة فإنّ هذا المنهج قد جاء كردّ فعل عن تلك المناهج التي سادت القرن 19م، على غرار: المنهج التاريخي والمنهج المقارن.

أ/ مرحلة الدراسات التاريخية: تحتمّ هذه الدراسات بدراسة اللغة منذ ولادتها إلى مرحلتها الحالية، وذلك من خلال تطبيق المنهج التاريخي الذي يقوم بدراسة لغة محدّدة عبر الزمن عكس المنهج الوصفي، وذلك قصد اكتشاف واستخلاص مجمل التغيّرات والتطوّرات التي اعترت (أصابت) هذه اللغة خلال فترة حياتها (منذ نشأتها إلى وقتها الحاضر) عبر مستوى المبنى والمعنى، وعلى جميع المستويات اللغوية (الصوتي، الصرفي، النحوي، والدلالي)؛ علما أنّ المستوى الصوتي والدلالي هما أكثر المستويات عرضة للتغيّر والتحوّل، مقارنة مع غيرها (الصرفي والنحوي).

ويقوم انتقاده "دي سوسير" لهذه الدراسات على ما يلي:

* إنّها تعدّ اللغة مجرد وسيلة وليست غاية.

* إنّها دراسات تميّزت ببعدها عن العلمية، والتي نادى بها "دي سوسير" مطلع القرن 20م.

* إنّها تعتمد على المنهج التاريخي العاجز عن مسايرة التطوّر العلمي الحاصل، وعلى الوصف العلمي الدقيق لنظام اللغة ومستوياتها التحليلية المختلفة.

ب/ مرحلة الدراسات المقارنة: ظهرت هذه الدراسات منذ إن اكتشف الأوروبيون العلاقات (أوجه الشبه) القائمة بين اللغات الأوروبية واللغة الهندية (السانسكريتية)، حيث تعمل هذه الدراسات على تطبيق المنهج المقارن الذي يقوم على المقارنة بين لغتين أو أكثر سواء أكان ذلك على المستوى الصوتي أم الصرفي أم النحوي أم الدلالي من أجل معرفة أوجه التشابه، والاختلاف القائم بين اللغات المدروسة، قصد البحث عن الأصل الواحد الذي انبثقت وتفرعت عنه هذه اللغات، ثم في مرحلة لاحقة تصنيف اللغات إلى عائلات لغوية. أما عن النقد الذي وجهه "دي سوسير" للدراسات المقارنة هو أنها تستخدم اللغة وسيلة لا غاية مثلها مثل الدراسات التاريخية، كل ذلك دفع "دي سوسير" لطرح بديل آخر يجعل اللغة وسيلة قصد الوصول إلى الغاية المرجوة ألا وهو: **المنهج الوصفي الآني**.

واللغة في العربية هي من الجذر: ل. غ. و، من اللغو، وهو السقط من الكلام أو الكلام الذي لا قيمة ولا فائدة له، وهذا ما جعل العديد من اللغويين يرفضون استخدام مصطلح اللغة، ويفضلون في المقابل استعمال مصطلح اللسان، بحكم أنها لم تذكر في القرآن الكريم، ومن استعمال مصطلح اللسان جعله مقابلا للمصطلح الأجنبي Langue وليس Langage.

رابعا: اللسانيات، وإلى أي حقل معرفي تنتمي؟

تنتمي اللسانيات باعتبارها علما خاصا، وفرعا من علم آخر أوسع وأشمل منها إلى حقل السيميائيات أو ما يعرف كذلك بعلم العلامات/ علم الإشارات "Senaialogie"، فإذا كانت اللسانيات تدرس ما هو لغوي لفظي فقط، فإن السيميولوجيا تدرس ما هو لغوي وما هو غير لغوي. والسيميائيات كما تنبأ "دي سوسير" في بداية القرن 20م هو: «علم غير موجود بعد، فلا يمكن أن نتوقع بما سيكون عليه، ولكن يحق له أن يوجد، ومكانه محدّد سلفا، وليست اللسانيات سوى قسم من أقسام هذا العلم العام».



المقدمة الثانية: مصطلح اللسانيات

ظهر مصطلح "اللسانيات" (Linguistics/Linguistique) أول ما ظهر في ألمانيا، ثم استعمل في فرنسا ابتداء من عام 1926م، ثم في إنجلترا ابتداء من عام 1955م، فواضح أنّ اللسانيات علم انبثق عن الحوض المعرفي الغربي، واتخذ مكانا ضمنه، ولمّا كان من سيمات العلوم الانتشار، فقد سعت اللسانيات إلى التّنزّل ضمن أحواض معرفية أخرى، ومن هذه الأحواض: الحوض المعرفي العربي.

● مصطلح اللسانيات في الثقافة اللغوية العربية:

إنّ أول مصطلح استعمل مقابلا للمصطلح "Linguistique" الفرنسي في أغلب التصانيف والمؤلفات العربية هو مصطلح "علم اللغة"، إذ جعله الدكتور "علي عبد الواحد وافي" عنوانا لكتابه عام 1941م، وقد ظلّ هذا المصطلح مستعملا إلى اليوم في كثير من المؤلفات العربية.

وقد اختار مجموعة من الدارسين مصطلحي "فقه اللغة" و"علم اللغة" مقابلين للمصطلح الأجنبي Linguistique، وزاوجوا بينهما في بحوثهم. يقول "محمد الأنطاكي" في كتابه "الوجيز في فقه اللغة": «إنّ فقه اللغة أو علم اللغة هو المقابل للمصطلح الغربي Linguistique».

أما "تمام حسّان" فإنّه يعتمد في كتبه على مصطلح "علم اللغة" للدلالة على اللسانيات، ويشير الدكتور "كمال بشر" إلى أنّ المصطلح الذي يجب إطلاقه على الدرس اللغوي في عمومته هو "علم اللغة"، وإلى نظير ذلك يذهب الدكتور "فهمي حجازي" إذ يدعو

إلى استخدام تسمية موحدة واضحة هي "علم اللغة"، ويبرز "حجازي" هذا الاستعمال بقوله: «هكذا استخدم المؤلفون العرب قبل العصر الحديث مصطلحات فقه اللغة وعلم اللغة ومتن اللغة».

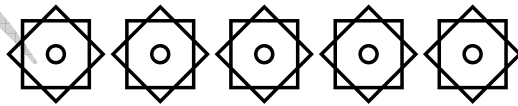
إضافة إلى وجود سببين آخرين اعتمدا عليهما الدارسون العرب في اختيار مصطلح "علم اللغة" للدلالة على المصطلح الغربي Linguistique هما: التعبير الدقيق لمصطلح "علم اللغة" عن مدلول المصطلح الغربي Linguistique، ذلك أنّ كثيرا من اللغويين الغربيين عرّفوا اللسانيات على أنّها: «الدراسة العلمية للغة»، أمّا السبب الثاني فهو كون هذا المصطلح (علم اللغة) ترجمة حرفية لعبارة science du langage التي اتخذها بعض اللغويين الغربيين جنيسا لمصطلح Linguistique.

إلى جانب مصطلح علم اللغة ظهرت تسميات ومصطلحات أخرى من ذلك "علم اللسان"، وقد ظهر هذا المصطلح للمرّة الأولى في ترجمة الدكتور "محمد مندور" للبحث اللساني الفرنسي "أنطوان مابيه" الموسوم بـ: "Linguistique"، حيث ترجمه بعلم اللسان، وقد ظهر أيضا في ترجمة الدكتور "محمد مندور" في كتاب "منهج البحث في الأدب واللغة" عام 1946م.

أمّا مصطلح "الألسنيّة" فقد ظهر أوّل مرّة في تونس، وقد استعمله "صالح القرمادي" للتعبير عن علم اللهجات، ثمّ اطرّد استعمالها وصارت تضمّن مختلف الباحث المتعلقة باللسانيات، وظهر في المغرب الأقصى مصطلح "لِسْنِيَّات" ومرجعه إلى مادة "اللُسْن"، وهو الكلام واللغة، ومن هذه المادة اللغوية انبثق المصطلح الأكثر تجريدا والأوسع انتشارا وهو لفظ اللسانيات.

في ديسمبر من عام 1978م نظّم مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية أوّل ندوة عربية في هذا الاختصاص، حضر إليها علماء اللسانيات من المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والعراق والكويت وسوريا، وكان أوّل مكتسبات الندوة أن اتّفق الجميع على تكريس لفظ: اللسانيات اسما لهذا العلم، وهكذا كتب لهذا العلم أن يتوخّد أبناء اللغة العربية على مصطلح له، بعد أن توزّعت سبل الاستعمال، وصاغ له الصائغون من المصطلحات ما يربو عن العشرين هذا كشفها:

Linguistique، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، علم اللغة العام الحديث، علم فقه اللغة، علم اللغات، علم اللغات العام، علم اللغويات الحديث، اللغويات الجديدة، اللغويات، الدراسات اللغوية الحديثة، الدراسات اللغوية المعاصرة، علوم اللغة، النظر اللغوي الحديث، علم اللسان، علم اللسان البشري، علم اللسانة، الألسنية، الألسنيات، اللسنيات، اللسانيات.



الخلاصة الثالثة: البنية في الدراسات اللغوية الحديثة

أولا: مفهوم البنية لغة: البنية والبُنْيَة ما بنيته وهو البنى والبنى، والبنية: الهيئة التي بُني عليها، وهذه الكلمة في العربية مشتقة من الفعل الثلاثي "بَنَى" الذي يدلّ على معنى التشيد والعمارة، وفي النحو العربي تتأسس ثنائية المعنى والمبنى على الطريقة التي تبني بها وحدات اللغة والتحوّلات التي تحدث فيها، لذلك فالزيادة في المعنى يعني بالضرورة زيادة في المعنى.

تُشتقّ كلمة بنية Structure في اللغات الأوروبية من الأصل اللاتيني Stuerه الذي يعنى البناء أو الطريقة التي يقوم عليها مبنى ما، ثمّ امتدّ مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنا ما من وجهة النظر الفنيّة المعمارية، وتنصّ المعاجم الأوروبية أنّ فنّ المعمار architecture يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن 17م.

ثانيا: مفهوم البنية اصطلاحا: البنية باعتراف رواد اللسانيات: نظام أو نسق "Système" يعمل في ضوء قوانين معينة، وهذا النظام يقوم ويتطور بناء على وظيفة هذه القوانين الداخلية دون الرجوع إلى عناصر خارجية؛ فالبنية ليست شتاتا أو ركاما من العناصر والأجزاء يمكن أن يتميز بالاستقلال الداخلي بل على العكس تماما، فكل عناصرها تقوم على قانون مضبوط.

يقول "لويس بالمسلاف": «إنّ البنية كيان مستقل من العلائق بينها تبعية وخضوع»(*) داخلين، فهي تشكّل وحدة مستقلة بين عناصرها تساند داخلي، ولها قوانينها الخاصة».

يتّضح من هذا القول أنّ معرفة البنية لا يمكن أن تنتج عن تحليل كل عنصر على حدة، ومن هنا كان عليا القول بأنّ العناصر لا يمكن أن تسبق وجود الكلّ، فالعناصر لا تؤخذ منفردة، بل من خلال المجموع.

ثالثا: خصائص البنية في اللغة:

تتميّز البنية بثلاث خصائص هي:

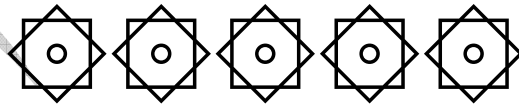
① الكليّة أو الشمولية: لا تتحقّق البنية إلّا بوجود شمل أو جمع من العناصر أو الأجزاء التي تشكّل كلاً غير قابل للتجزّء، فالصوت المفرد لا يشكّل كلمة، والكلمة المفردة لا يمكن لها أن تشكّل جملة، واللغة إنّما هي تضافر مجموعة من العناصر من أصغر عنصر وهو الصوت، إلى أكبر عنصر وهو الدلالة.

② التحويل: هو ضرب من التوليد، ينبع داخل البنية، أي يمكن استخراج مجموعة من البنيات الممكنة انطلاقا من البنية الأصلية. مثل: قاتل محمّد وأحمد الأسد.

يمكن أن نولّد منها عددا من الجمل الصحيحة نحويا وداليا نحو: قاتل أحمد ومحمّد الأسد، قاتل الأسد أحمدا ومحمّدا، قاتل الأسد ومحمّد أحمد،... وهلمّ جزّا.

③ التنظيم الذاتي: ومعناه أنّ البنية تتحكّم في ذاتها، وعلى تحتاج إلى ما هو خارج عنها حتى تؤدّي وظيفتها، وهذا التحكّم أساسه القانون الذي يحتكم إليه انتظام العناصر داخل البنية، كقوانين الصرف والنحو التي تحتكم إليها اللغة أثناء تأدية وظيفتها.

هذا ولم يستعمل "فرديناند دي سوسير" في مؤلفه "محاضرات في اللسانيات العامة" مصطلح "البنية"، إلّا أنّه يعدّ أول من دعا إلى دراسة اللغة وفق المنهج البنوي.



المحاضرة الرابعة: إثباتية "اللغة/ اللسان/ الظاهر - المفهوم والبنية"

(محاضرة تليفونية لثنائيات فرديناند دي سوسير)

أولا: اللغة (Langage): هي ظاهرة اجتماعية وملكة أساسية في اللسان، تشكّل بنية قاعدية تُحتزل في مصطلح النظام "Système"، وهي ثابتة خلاف الكلام، ومشتركة لدى الجماعة اللغوية، وموجودة في أذهان جميع الناس في شكل باطني مجرّدة، يقول "فرديناند دي سوسير": «إنّ اللغة توجد على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل

(*)- تبعية وخضوع: أي لا يستطيع أيّ عنصر من البنية (الكل) الانفصال عن الآخر.

المقياس: اللسانيات العامة السنة الثانية ليسانس (دراسات لغوية / الفوجين: 04+03) أستاذ المقياس: محمد بولخطوط

معجم، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد، وهي لا تتأثر بإرادة المتكلمين، ويمكن صياغة وجودها على هذا النمط: $1+1+1+1=1$.

ثانيا: **اللسان (Langue)**: هو النظام العام للغة، الخاص بمجتمع لغوي ما، له خصوصيات حضارية وثقافية، وهو أشمل من اللغة، كأن نقول: لسان قوم من الأقوام كاللسان العربي أو الأجنبي ...

ثالثا: **الكلام (Parole)**: هو التجسيد الفعلي للغة أو الممارسة العملية لها، وهو نشاط شخصي (فردى) خلافي، يتميز بالحرية والفوضى والتحول، وهو الذي يُخرج اللغة من مركز الوجود بالقوة، إلى مركز الوجود بالفعل.

وما دام أنّ الدراسة العلمية تركز على ما هو ثابت وساكن، قابل للملاحظة والوصف والتحليل، يمكن من خلاله وضع قواعد وقوانين ثابتة ويقينية، فلقد اختار "دي سوسير" اللغة موضوعا للدراسة اللسانية لثبوتها وسكونها، على خلاف الكلام الذي يتميز بالحركة والتغير والتحول؛ فاللغة ثابتة مشتركة عند جميع الأفراد، في حين أنّ الكلام خلافي من فرد لآخر.

يمكن تجسيد العلاقة التي تربط بين أطراف هذه الثلاثية في المعادلة الرياضية التالية:

اللسان = اللغة + الكلام parole+langage = langue

ومعنى هذا أنّ اللسان أعمّ من اللغة والكلام، فهو يشمل الثابت (اللغة)، والمتحرك (الكلام)؛ فاللغة هي مختلف القواعد التي يتمّ تجسيدها على أرض الواقع من خلال الأداء والنشاط الفردي (الكلام)، وبالتالي نتحصّل على ما يعرف باللسان، وعليه فإنّ الكلام تفعيل للغة، ومن دونه لا يمكن الإمساك بها. إذن اللسان أوسع وأشمل منها، وإنّا لا يمكن معرفته إلا إذا تجسّد بواسطة اللغة.



المادة الخامسة: ثنائيات "فردينيات دي سوسير" (01)

(اللغة والكلام، السان والمطلول)

أولا: اللغة (Langage) والكلام (Parole):

خالف "دو سوسير" اللغة عن الكلام، لأنّه كان يهدف منذ البداية إلى تحديد دقيق وعلمي لموضوع الدراسة اللسانية، فالكلام لا يمكن له بأيّ حال من الأحوال أن يكون موضوع العلم ما دام يحتوي على طبائع مختلفة، أمّا اللغة فيجب أن تدخل ميدان الترتيب والتصنيف؛ فهي كلّ متجانس ثابت، فالكلام ملكة خاصة، واللغة عرف وقانون اجتماعي.

ومن مميّزات اللغة أنّها نظام موجود في كلّ دماغ، لكنّها لا توجد تامّة عند الفرد، وهي عبارة عن نظام من العلامات والقواعد ليس له تحقّق فعلي، لأنّ الناس لا يتكلّمون القواعد، وإنّما يتكلّمون بفضل هذه القواعد، وهي شيء اتّفاقي مكتسب، وجزء اجتماعي للإنسان الذي لا يقوى الفرد على خلقه أو تغييره، فهو خارج عن ثقافة الفرد.

على الرغم من الاختلافات والبيانات القائمة بين اللغة والكلام، وتفضيل "دي سوسير" للغة لثبوتها عن الكلام لتحوّلها، إذ جعلها موضوع الدراسة اللسانية، إلّا أنّ هذا لا يعني وجود انفصال بينهما، فها هو "دي سوسير" من جهته يؤكّد على وجود علاقة رابطة بين الغرضين؛ فاللغة ضرورية حتى يصبح الكلام مفهوما، ومن ثمة يتحقّق التواصل، والكلام أيضا ضروري لكي تقوم اللغة وهو سابق لها، فهناك تأثير متبادل بين اللغة والكلام.

ثانيا: الدليل اللغوي (Signe) [الدال (Signifiant)، المدلول (Signifié)]

يزعم بعض الناس أنّ الدليل اللغوي هو ارتباط كلمة بشيء أو بفكرة من الواقع الخارجي، لكننا إذا انتقلنا من لغة إلى أخرى نلاحظ أنّ الأشياء تبقى هي نفسها لا تتغير، بينما أسماءها تتغير من لغة إلى أخرى. فما هو الدليل اللغوي إذن؟

يوضح "دو سوسير" مفهوم الدليل اللغوي انطلاقا من الدائرة التخاطبية القائمة على متحاورين اثنين: أ و ب يتبادلان الكلام، وهما الحد الأدنى المطلوب لاكتمال دائرة الكلام وحدث عملية التواصل، في هذه الحالة يكون انطلاق دائرة الكلام من دماغ أحد الشخصين، ولنفترض أنّ هذا الشخص هو "أ" أي الباث (المتكلم)، وفي هذا الدماغ توجد أحداث الوعي التي نطلق عليها مصطلح "المفاهيم" (Concepts)، حيث ترتبط هذه المفاهيم والتصورات بالصورة السمعية (Image acoustique) المستخدمة للتعبير عن هذه المفاهيم، فلنفترض أنّ مفهومنا معينا يُطلق في الدماغ صورة سمعية مطابقة، فالعملية هنا عبارة عن ظاهرة نفسية تتبعها عملية فيسيولوجية (عضوية)، بعدها تنتشر الموجات الصوتية (الذبذبات الصوتية) من فم المتحدث "أ" إلى أذن المستمع "ب"، وهذه العملية فيزيائية صرفة، تمتد بعدها دائرة التخاطب داخل الشخص "ب" بترتيب عكسي، وذلك مروراً بالأذن والدماغ.

يسمى "دي سوسير" الصورة السمعية دالا (Signifiant)، ويُرمز له بـ: [Sa]، ويسمى التصور أو المفهوم مدلولاً (Signifié) ويُرمز له بـ: [Sé].

والدليل اللغوي أو العلامة اللسانية (Signe) عنده هي اتحاد بين دال ومدلول، وهما مرتبطان ومتحدان كوجهي الورقة (العملة) النقدية الواحدة، لا يمكن الفصل بينهما؛ إذ أنّ فصل أحدهما يستدعي بالضرورة فصل الآخر.

تفصيل مصطلحي:

* **الصورة السمعية:** هي انطباع الصوت في الذهن، أو هي الأثر الحاصل بعد سماع الأصوات، أو صورة الكلام الذي سيتم التلفظ به، بعد حصول المعنى في الذهن.

* **التصور:** هو انطباع الشيء في الذهن، أو هو المفهوم والمعنى الناتج من قراءة الصورة السمعية.

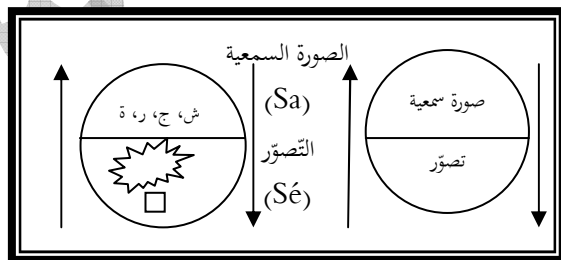
الدليل اللغوي عند "دي سوسير" علاقة ذهنية لا مادية:

الدال هو الصورة السمعية، وهو مظهر حسي فيزيائي تدركه العين كتابة ويدركه السماع ملفوظاً، أما المدلول فهو صورة ذهنية للدال أو المفهوم، وهو مظهر مجرّد، والعلامة أو الدليل اللغوي عند "دي سوسير" علاقة ذهنية، لكنها لا تربط بين اللفظ (الكلمة أو الاسم)، والمفهوم (الشيء أو المسمّى)، بل بين التصور والصورة السمعية، فكلمة "قلم" مثلاً: لها جانب مادي يتمثل في الشيء الموجود في الواقع (أداة الكتابة) واللفظ المنطوق بالفعل (الأصوات: ق، ل، م)، ولها جانب ذهني يتمثل في مفهوم أو صورة ذهنية للشيء المشار إليه بلفظ قلم، وصورة سمعية؛ أي صورة اللفظ نفسه التي يمكن أن تتمثلها لو نظرنا إلى كلمة "قلم" وهي مكتوبة دون النطق بها.

إنّ العلاقة بين المفهوم (التصور/ الصورة الذهنية)، والصورة السمعية أو الصوتية هي علاقة تستبعد الجانب المادي، فهذه الصورة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي محض، بل هي الأثر النفسي الذي تحدثه الحواس (الانطباعات الذي يثيره في الذهن).

بناءً على ما قيل فإنّ العلامة اللغوية كيان نفسي ذو وجهين: المفهوم والصورة السمعية، والعلاقة بينهما متبادلة، فكلّ منهما

يستدعي الآخر، وهذا ما يوضحه السهمان العموديان في الشكل التالي:



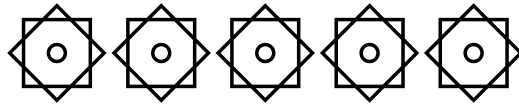
يحدّد "دي سوسير" طبيعة العلاقة التي تجمع بين الدال

والمدلول بأنّها اعتباطية (Arbitraire) قائمة على العرف

والتواضع والاصطلاح من أجل تحقيق التواصل بين أفراد الجماعة

اللغوية؛ بمعنى أنّ هذه العلاقة غير طبيعية وليست ضرورية، بل

عشوائية غير معللة، فليس هناك أي مبرر أو سبب يربط دالا معينا بمدلول معين، وسيأتي التفصيل بحول الله تعالى في هذه العلاقة عند الحديث عن خصائص اللسان البشري.



المقدمة السادسة: ثنائيات "فريديناند دي سوسر" (02)

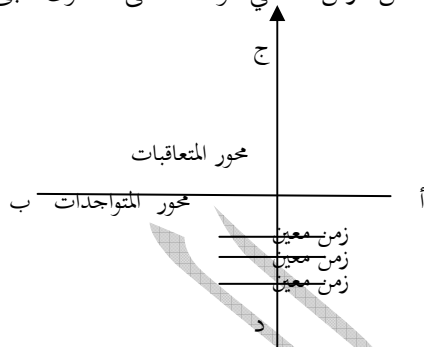
(الآنية والتاريخية، الاستبدال والتكيب)

ثالثا: الآنية، الوصفية، السكونية، التزامنية، السانكرونية (Synchronie)

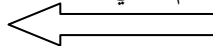
التطورية، التاريخية، التعاقبية، الزمنية، الدياكرونية (Diachronie)

Diachronie و Synchronie هما مصطلحان مأخوذان عن الإغريقية، فالأول: وصفي ثابت يشير إلى حالة من حالات اللغة وهي تؤدّي وظيفتها في زمن معين، والثاني يعني مرحلة من مراحل تطوّر اللغة.

فالسانيات الآنية تدرس أية لغة دراسة وصفية في نقطة زمنية ومكان محددين، أما اللسانيات الزمنية فتدرس مختلف التغيّرات والتطوّرات والتحوّلات التي تطرأ على لغة معينة عبر فترة من الزمن، أو خلال حقبة متتابعة من الزمن الماضي، وذلك على مستوى المبنى والمعنى معا.



إنّ الطابع الآني يتجسّد على مستوى محور المتواجدات (أي الأشياء المتواجدة في زمن واحد؛ أي المتزامنة، ولا دخل للزمن فيه، أما الطابع الزمني فيتجسّد على مستوى محور المتعاقبات الذي لا يمكن أن تعتبر فيه الأشياء إلا وهي منفصلة، وهذا ما يوضّحه الرسم التالي:



والدرستان إحداهما مكّملة للأخرى؛ فأية دراسة تاريخية تتطلّب دراسة وصفية آنية، وهي متركّبة من سلسلة من النقاط الآنية، والدراسة الآنية كذلك لا يمكنها التخلّص من الزمن، وإنّما بإمكانها التخلّص من فكرة التطور، وعلى هذا فاللغة نظام تجتمع فيه صفة السكون أو الثبات، والتطوّر أو التحوّل في الوقت ذاته.

رابعا - المحور الاستبدالي، الاختياري، الترابطي، التراتبي، العمودي (Axe paradigmatique)

المحور التركيبي، السياقي، الركني، الترتيبي، النظامي، الأفقي (Axe syntagmatique)

أثناء الاستعمال أو الإنجاز (توظيف اللغة) يقوم المتكلّم في كلّ لغة باختبار مجموعة من الألفاظ التي يراها مناسبة لسياق الحديث؛ هذه الألفاظ تقوم بينها علاقات من قابلية الاستبدال، أي علاقات من قابلية التعويض، ومعناها أنّ المتكلّم حين يختار كلمة ما بإمكانه أن يستبدلها بواحدة أخرى متاحة في رصيده المعجمي. ما إن يستعمل المتكلّم واحدة من تلك الإمكانيات المتوفرة لديه حتى تنزاح وتغيب الإمكانيات الأخرى المترادفة والواردة في جدول واحد. مثال: أكل الغلام تفاحة، يختار المتكلّم [أكل] من بين مجموعة من المفردات الأخرى المترادفة أو القريبة المعنى نحو: التهم، قضم، هضم، تناول، أخذ،... الخ، ثمّ يختار [الغلام] من بين مجموعة أخرى واردة في جدول

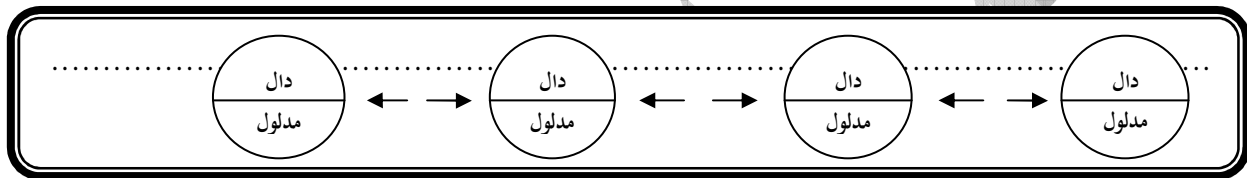
أو حقل آخر نحو: الفتى، الطفل، الصبي، الولد، ... الخ، ثم يقول [تفاحة] بدلا من لفظة موزة، برتقالة، إحصاة، فريولة، تمر، رمانة، فاكهة، ... الخ.

نقول عن الإمكانيات المختارة (أكل + الغلام + تفاحة)، أي التي تحققت بالفعل وتم استعمالها: أن الحاضرة منها تتحقق بالغاثة ونسمي العلاقات الاستبدالية القائمة فيما بين هذه الإمكانيات علاقات غيائية، أي أن الإمكانيات اللغوية الممكنة الاستعمال تظل في ذهن المتكلم وتنزل لأفها لم توظف ولم تستعمل.

بعد مرحلة الاختيار، يقوم المتكلم برصف وترتيب الوحدات اللغوية التي تم اختيارها في مرحلة أولى، أي يقوم بتركيبها والتأليف فيما بينها وفق القوانين والقواعد الصرفية والنحوية الموجودة في كل لغة، ونسمي العلاقات القائمة بين الإمكانيات اللغوية المحققة بالفعل (أكل + الغلام + تفاحة) علاقات حضورية، لأنها مستعملة وموجودة ومحققة.

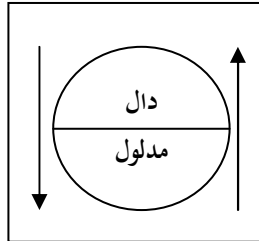
خامسا - الدلالة والقيمة اللسانية:

تعد اللغة في نظر "دي سوسير" نظام من المفردات، وقيمة كل مفردة إنما تتحدد بتمثيلها أولا لفكرة معينة، وبوجودها ثانيا مع غيرها من المفردات، وهذه الترسمة توضح ذلك:



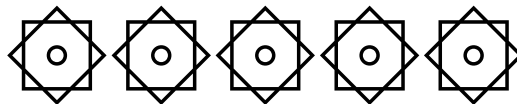
فكل دائرة من هذه الدوائر تمثل علامة لغوية (دال + مدلول)، والسهمان يشيران إلى العلاقة بين المفردات (العلامات)، وتشير النقاط إلى إمكانية وضع وإضافة علامات أخرى.

ميّز "دوسوسير" بين القيمة والدلالة (المعنى) أو المدلول الذي هو قسيم الدال، فالمدلول هو معنى الكلمة مقترن بالدال، وهي تجري في نطاق الدليل الواحد، وهذا الرسم يوضح ذلك:



يشير السهمان هنا إلى الترايط العضوي القائم بين الدال والمدلول، وهذه العلاقة التي يمثلها السهمان العموديان لا تشبه العلاقة التي يمثلها السهمان الأفقيان في الشكل السابق. فالعلاقة الأولى تكون على مستوى علامة لغوية واحدة، يرتبط فيها الدال بالمدلول، بحيث يشكّلان معا وجهان لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، أما العلاقة الثانية فتجري بين علامة لسانية وعلامة أخرى، ويتحدد مكان علامة ما في النظام بدراسة علاقتها

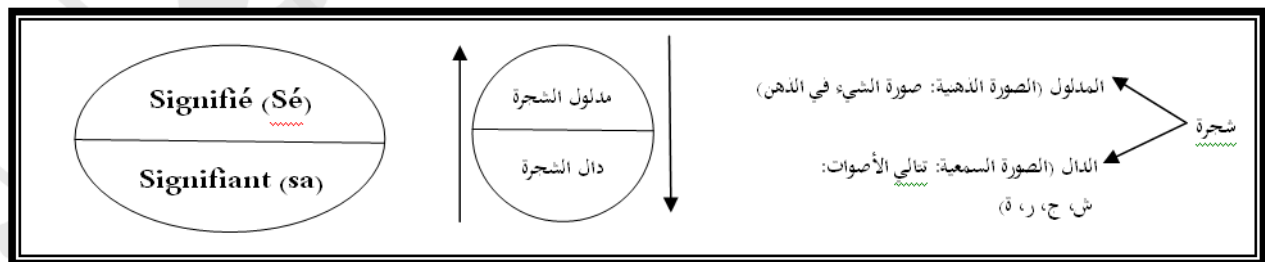
بغيرها من العلامات، وهذا ما يعرف بـ: القيمة؛ فهي إذن تستمد ذاتها من العلامات التي تربط علامة ما بعلامات أخرى تابعة لنفس النظام اللغوي؛ بمعنى أن هذه العلاقة تتجاوز حدود الدليل اللغوي الواحد.



الباب: السابعة: عناصر اللسان البشري

يتميّز اللسان البشري عن غيره من أدوات التعبير والتواصل بجملة من الخصائص التي تجعل منه منظومة قائمة بذاتها، أي مجموعة من العناصر التي لا معنى لها في ذاتها، وإنما معناها في ارتباطها مع بعضها، وكلّ تغيّر يصيب عنصرا منها يظهر أثره على سائر العناصر الأخرى، بل على النظام كلّ. وأهمّ هذه الخصائص هي:

أولا - اعتبارية الدليل اللغوي: يعدّ الدليل اللغوي بالنسبة لـ "دي سوسير" عنصرا من عناصر الجهاز اللغوي، وهو الوحدة اللسانية المكوّنة من عنصرين بينهما كمال الاتصال، فهما كوجهي الورقة الواحدة، يسمى أحدهما **دالا**، وهو الصورة السمعية التي يتضمّن الدليل، ويسمى الثاني **مدلول** وهو المتصوّر الذهني، أو ما يسمّى قديما بالمعنى. فالعلامة ليست الدال وحده أو المدلول وحده، وإنما هي هما معا، ولعلّ هذا ما توضّحه الترسّمة أسفله.



يشير السهمان إلى الترابط العضوي بين الدال والمدلول

إنّ العلامة (**Signe**) في نظر "دي سوسير" توجد بين مفهوم (**Concept**)، وصورة سمعية (**acoustique** **Image**)، لا بين شيء واسم (كلمة)، فالعلامة هي وحدة النظام، وهي العنصر اللساني الذي يتكوّن من صورة سمعية ومفهوم، والمفهوم هو الفكرة التي تقتزن بالصورة السمعية. فمثلا كلمة: رجل هي علامة لسانية مكوّنة من صورة سمعية، وهي الإدراك النفسي لتتابع الأصوات: ر، ج، ل، ومفهوم وهو مجموع السمات الدلالية (حي، ذكر، عاقل، إنسان، راشد، ...)، فالتتابع الصوتي بمفرده لا يكون علامة لسانية، كما أنّ السمات الدلالية بمفردها لا تشكّل علامة لسانية؛ فالعلامة انطلاقا من هنا هي مركب يتكوّن من وجهين: دال ومدلول، ولا يمكن الفصل بينهما لأنّهما يرتبطان بعلاقة اصطلاحية تواضعية اتّفاقية، من أجل تحقيق **التواصل والتفاهم** بين الأفراد، يطلق "دي سوسير" على هذه العلاقة تسمية "اعتباطية" (**Arbitraire**)، ومعناها أنّه لا يوجد أيّ مبرّر أو سبب يجعل هذا الدال مرتبط بالضرورة بذلك المدلول، وإنما ذلك مصطلح ومتفق حوله بين أفراد الجماعة اللغوية الوحدة، ليس لأيّ غرض آخر سوى لتحقيق التواصل بينهم، وقد ضرب "دي سوسير" مثلا واقعا للتأكيد بأنّ العلاقة القائمة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية عشوائية غير ضرورية (غير طبيعية/ غير معلّلة) بلفظة "كلب".

فهذه اللفظة لا توجي إلى حيوان معين من أربع قوائم، فذلك قائم على التواضع والاصطلاح والاتّفاق لا غير، كما أنّه لا يوجد أيّ تشابه بين الحيوان والأصوات المشكّلة له [ك. ل. ب.]، بحيث يمكن استبداله بلفظ آخر إذا اتّفقت الجماعة اللغوية على ذلك، وهناك دليل قاطع على اعتبارية الدليل اللغوي، وهو أنّ كلّ لغة تعبّر عن كلب بلفظ خاص بها، ولو وُجدت علاقة طبيعية ضرورية بين الدال والمدلول لكانت هناك لغة واحدة في العالم. بيد أنّ هذه العلاقة قد تكون ضرورية حتمية في حالات استثنائية؛ أي أنّ هناك علامات يتشابه فيها الدال مع المدلول، وهذه العلامات بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة [خرير المياه، هديل الحمام، صليل السيوف، زئير الأسد، حفيف ورق الشجر، هزيم الرعد، مواء القطط، خوار البقر، نغاء الكباش، صهيل الحصان، دبيب النمل، طنين الذباب، عواء الذئاب، صرير القلم، تكتكة الساعة، نباح الكلاب، زققة العصافير، ... وهلمّ جزّا]، لكنّها تظلّ قليلة في اللغات صادف وأن تشابهت ودلالاتها،

ولمّا كانت قليلة تختلف باختلاف اللغات وجب عدم اتّخاذها أساسا للحكم على أنّ هذه العلاقة طبيعية معلّلة.

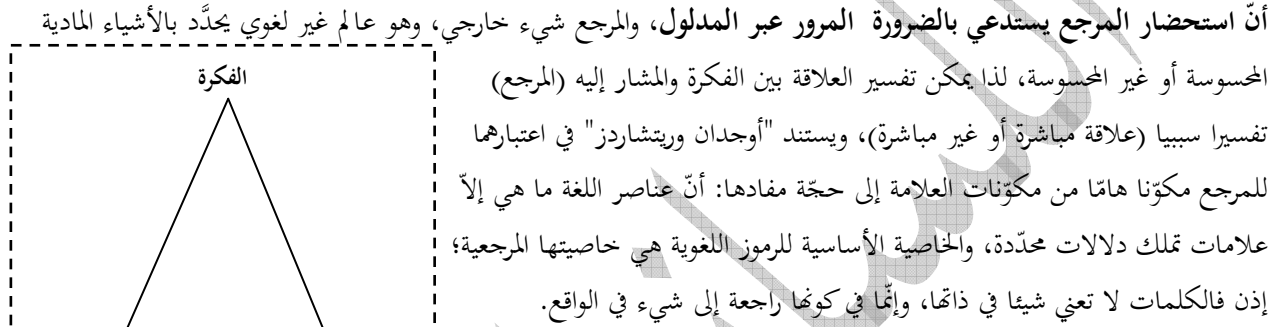
ويتشكّل مبدأ الاعتبارية عند "دي سوسير" في صورتين وهما:

- **الاعتبارية المطلقة:** وفيها تتجرّد العلاقة بين طرفي العلامة من أيّ رابط سببي.

- **الاعتبارية النسبية:** وفيها تظهر العلامة محتفظة باعتباريتها، مع احتمال وجود علاقة سببية بين طرفيها.

هناك اتجاهات كثيرة اعترضت "دي سوسير" لتجاهله **للمرجع**، وهو الواقع التي تحيل إليه اللغة في العالم الخارجي، ومن هؤلاء "أوجدان وريتشاردز" اللذان أضافا المرجع كحدّ ثالث إلى جانب الدال والمدلول، ومسألة المعنى عندهما تقوم على علاقة ثلاثية تربط بين الأشياء والأفكار والكلمات، ويُعبّر عنها بهذا المثلث:

قاعدة هذا المثلث عبارة عن خطّ متقطّع، والسبب يرجع إلى أنّ **العلاقة التي تربط الدال (الكلمة) بالمرجع هي علاقة غير مباشرة؛ إذ**



وانتقد "إميل بانفنيست" "دي سوسير" في طبيعة العلاقة التي تجمع بين الدال والمدلول، ورأى أنّها ضرورية وطبيعية، فلا بدّ أن تشير سلسلة الأصوات [ك. ل. ب] في الذهن تصوّر حيوان معيّن وإلاّ انتفت الدلالة، ويرى أنّ الاعتبارية لا تقوم بين الدال والمدلول، بل بين الدال والمرجع؛ فلا علاقة بين سلسلة الأصوات والحيوان الواقعي في عالم الموجودات، وهذا النقد راجع إلى استبعاد "فرديناند دي سوسير" في تعريفه العلامة اللسانية للمرجع، وحصرها في الدال والمدلول فقط.

إنّ لاعتبارية الدليل اللغوي جذورا عريقة في لغتنا العربية من ذلك ما جاء به "الرجاني" عندما قال: «لو أنّ واضع اللغة كان قد قال ربّض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد»، ويضيف "الإسفراني" قائلا: «إنّ الأسماء لا تدلّ على مدلولاتها لذاتها؛ إذ لا مناسبة بين الاسم والمسمّى، ولذلك يجوز اختلافها باختلاف الأمم ويجوز تغييرها، والثوب يسمى في لغة العرب باسم، وفي لغة العجم باسم آخر، ولو سمّي الثوب فرسا، والفرس ثوبا ما كان ذلك مستحيلا».

ثانيا - الثبات والتغيّر: سمة اللغة الثبات والتغيّر، وهي خاصية تميّز بالتناقض، ولكنّها موجودة ومنطقية، إذ تشكّل عقدا اجتماعيا وإراثيا يحمله أفراد الجماعة اللغوية جيلا بعد جيل، ولا يمكن أن تتدخل الإرادة الفردية بشكل عشوائي في تغيّر نظام اللغة، فهي ملكٌ مُشاعٌ جماعي، وكلّ ثابت بشكل واحد لدى جمهور المتكلّمين.

بيد أنّ اللغة تتغيّر تدريجيا بفعل الزمن، فمعلوم أنّ الزمن ينال من كلّ شيء فيغيّره، إضافة إلى قدرة المتكلّمين على إحداث التغيّر، فإذا ما تصوّرنا شخصا عاش منفردا طوال سنوات، فإنّنا لا نلاحظ أيّ تغيّر على مستوى اللغة التي يوظّفها، ولا أيّ عمل للزمن فيها، فاللغة تتغيّر بشكل جماعي وتدرجيا عبر الزمن.

ثالثا - التقطيع المزدوج (le doublé articulation): تقرّر اللسانيات السوسيرية (فرديناند دي سوسير) واللسانيات الوظيفية (أندري مارتيني) بظاهرة التقطيع المزدوج للغات، وهي خاصية عامة تشترك فيها جميع اللغات البشرية؛ فالقول: إنّ الكلام البشري متمفصل، هذا يعني أنّ الوحدات المختلفة التي يتشكّل منها الكلام هي نفسها تتركّب من وحدات أصغر منها.

يتقطع الكلام البشري إلى مستويين هما:

أ/ التقطيع على مستوى الوحدات الدالة: أي المونيمات (**les monèmes**) وترجمت إلى العربية بمصطلح "الفاظم"، وهي الوحدات الصوتية التي تحمل في ذاتها معنى، وتقبل التحليل إلى وحدات دنيا وأصغر منها عديمة الدلالة.

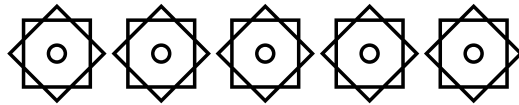
ب/ التقطيع على مستوى الوحدات غير الدالة: وتسمى الفونيمات (**les phonèmes**) وترجمت إلى العربية بالصوام، وهي الوحدات الصوتية الدنيا، التي ليست لها دلالة في ذاتها، ولكنها قادرة على تغيير المعنى، وتسمى هذه الوظيفة التي يقوم بها الفونيم بالوظيفة التمييزية سواء من خلال استبدال فونيم صامت محلّ فونيم صامت آخر نحو: قال، قام. أو من خلال استبدال فونيم صامت محلّ صائت آخر نحو: الحُطْبَةُ أو من خلال تغيير موقع الفونيم داخل المونيم الواحد، ليتبع هذا التغيير تغيير الدلالة نحو: دلو، ولد مثلا، وهكذا دواليك.

رابعا - الخطية: هي خاصية من خصائص اللسان البشري، موجودة في جميع اللغات الإنسانية، ومعناها: تنزل الكلام على محور الكتابة أو المشافهة بشكل تتابعي تسلسلي. يقول "فرديناند دي سوسير": «تتمظهر الخطية لما تُعوّض الدوال المسموعة المنطوقة في خطّ الزمان، الدوال المكتوبة المرسومة في خطّ المكان». ومعناه أنّ الوحدات الصوتية التي ينتجها جهاز التصويت الإنساني تأتي تبعا متسلسلة في برهات متتالية من الزمن؛ ذلك أنّ قصورنا البشري يحول دون أن ننطق بصوتين في نقطة ثابتة من الزمن، لذلك فالكلام يتم إنتاجه على نقاط متحركة من خطّ الزمن، فلا يمكننا مثلا أن نتلفظ بالباء والقاف في وقت واحد.

تأخذ هذه السلاسل الصوتية المسموعة المنطوقة حيزا من المكان (الفضاء المكاني) حينما تُقَيّد بالكتابة، وتحوّل من فونيمات إلى غرافيمات (**Graphèmes**) أي دوال خطية مرسومة بصرية مكتوبة، وتُقَيّد بالكتابة يجعلها محفوظة في الذاكرة البعيدة، عكس الأخرى التي ترتبط بلحظة إنتاجها وتلقيها.

وقد حدّد العلامة "ابن خلدون" زوجا اصطلاحيا في تحديد مبدأ الخطية هما: التعاقب والتوالي؛ إذ هما شرطا مبدأ الخطية. يقول: «تتركب سلسلة الكلام من الحروف المتعاقبة المتوالية، فكل واحد من تلك الحروف يحدث عُقْبَ صاحبه، فبديهي إذن أن يتنافى التعاقب والتوالي مع تصوّر التراكم في الحدث اللساني بالتوافق الكلي بين أجزاءه».

تتمظهر كلّ اللغات في شكل خطّ إمّا من اليمين إلى اليسار كما هو الحال في اللغة العربية، أو العكس كما هو الشأن مع الفرنسية، الإنجليزية، والإسبانية وغيرها، أو من الأعلى إلى الأسفل كما هو الحال مع الصينية، وبعض اللغات الأخرى الشائعة في قارة آسيا.



الخلاصة الثامنة: اللسانيات والتواصل اللغوي

النموذج التواصلي عند "رومان جاكبسون"

أولا: عوامل وعناصر التواصل اللغوي عند "رومان جاكبسون":

يتكوّن النموذج الذي اقترحه "رومان جاكبسون" للدّارة التواصلية من ستّة عوامل أساسية ومتكاملة هي:

1 - المرسل (**Destinateur**): وهو مصدر الخطاب المقدم، يعدّ ركنا جوهريا في الدّارة التواصلية اللفظية، فهو الباعث الأوّل لإنشاء خطاب يُوجّه إلى المرسل إليه في شكل رسالة، وقد تداول اللسانيون هذا العامل في قوالب اصطلاحية متباينة من قبيل: الباث،

المقياس: اللسانيات العامة السنة الثانية ليسانس (دراسات لغوية / الفوجين: 03+04) أستاذ المقياس: محمد بولخروط

المخاطب، الناقل، المتكلم، المتحدث وهلم جرا، ورغم اختلاف المصطلحات المستعملة للتعبير عن هذا العامل من عوامل التواصل اللفظي، فإنه يظل طرف أول في الجهاز التخاطبي، ويستحيل للعملية التواصلية التخاطبية أن تستغني عن هذا الطرف سواءً بشكل جزئي أو كلي.

2 - المرسل إليه (Destinataire): يقابل المرسل إليه المرسل في الدارة التواصلية التخاطبية، ويطلق عليه كذلك مصطلح: المستقبِل، المخاطب، السامع، المتلقي، القارئ، المستمع، وهكذا دواليك، وهو طرف أساسي أيضا في عملية التواصل، يقوم بعملية التفكيك (Décodage) لأجزاء الرسالة المشفرة (المرمزة).

3 - الرسالة (Message): هي الجانب الملموس في العملية التخاطبية، حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في شكل دوال مسموعة منطوقة (شفوية/ ملفوظة)، أو في شكل دوال مكتوبة مرسومة (بصرية/ خطية).

4 - السنن (Code): تعددت اصطلاحات اللسانيات بشأن هذا العامل، فبعضهم استعمل مصطلح اللغة، وبعضهم استخدم مصطلح النظام، فيما أطلق عليه البعض الآخر مصطلح القدرة أو الطاقة... الخ، وعلى اختلاف هذه الدوال في التسمية، نلاحظ اشتراكها في مدلول واحد يحيل على نظام ترميز (Un code) مشترك كلياً أو جزئياً بين المرسل والمرسل إليه.

يمثل السنن نقطة انطلاق الباث عندما يرسل رسالة خطابية معينة، حيث يعمل على الترميز (Codage)، وإليه كذلك يعود المخاطب في مرحلة لاحقة، أين يعمل على تفكيك الترميز (Décodage).

5 - السياق (Con texte): لكل رسالة مرجع تحيل إليه، وسياق مضبوط تُنتجُ ضمنه، ولا تُفهم مكوّنات الرسالة أو تُفكك رموزها السننية إلاّ بالإحالة على الملابسات (الظروف والعوامل) التي أنجزت فيها هذه الرسالة قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب، ويسمى السياق كذلك بالمرجع (Le référent).

6 - القناة: هي الوسيط الناقل للرسالة، وهي الممر الذي تسلكه الرسالة بين المرسل والمرسل إليه. ثانيا: وظائف اللغة عند "رومان جاكبسون":

تُنتجُ عوامل التواصل اللفظي الستة من الناحية اللسانية ست وظائف هي كالآتي:

1 - الوظيفة التعبيرية (Fonction expressive): ترتبط هذه الوظيفة بالمرسل، لأنها تنقل حزمة الأفكار والمشاعر إلى الطرف الآخر (المرسل إليه)، والتي من خلالها يهدف المرسل للتأثير في المتلقي، وتسمى كذلك بالوظيفة الانفعالية (Fonction emotive).

2 - الوظيفة الإفهامية (Fonction cognitive): ويطلق عليها بعض اللسانيين مصطلح وظيفة تأثيرية (Fonction impressive). يطلق على هذه الوظيفة مصطلح "إفهامية" إذا نُظِرَ إلى الخطاب من وجهة نظر عقلية، ويطلق عليها مصطلح "تأثيرية" إذا نُظِرَ إلى الخطاب من زاوية عاطفية أو انفعالية.

3 - الوظيفة الانتباهية (Fonction phatique): تتعلق هذه الوظيفة بعامل القناة؛ ففي خطاب تطغى عليه الوظيفة الانتباهية نجده متضمّنا لجملة تعمل على ضمان وصول الرسالة إلى متلقيها، فهناك أنماط لغوية تكون مهمتها المحافظة على سلامة جهاز الاتصال والتأكد من استمرار مرور سلسلة الرسائل الموجهة إليه على الوجه الذي أرسلت به، وهذا ما ذهب إليه "رومان جاكبسون" عندما أقرّ بأنّ هناك بعض الرسائل توظّف في الجوهر لإقامة التواصل وتمديده أو قطعه، وتوظّف للتأكد من أنّ دورة الكلام سارية وتشتغل بشكل طبيعي. مثال: ألو هل تسمعي؟ يقول المرسل هذه العبارة من أجل إثارة انتباه المرسل إليه، والتأكد من أنّ انتباهه لم ينقطع.

4 - الوظيفة الميتا لسانية (Fonction métalinguistique): تستخدم هذه الوظيفة عندما يشعر المتخاطبان أنّهما بحاجة إلى التأكد من الاستعمال الصحيح للسنن الذي يوظفان رموزه في العملية التخاطبية، فيكون الخطاب مركزا على السنن حينما يؤدي وظيفة ميتا لسانية (وظيفة الشرح). يتساءل المستمع: إنني لا أفهم ما الذي تريد قوله، أو هلاّ وضّحت ما تقول، وتكون عادة هذه

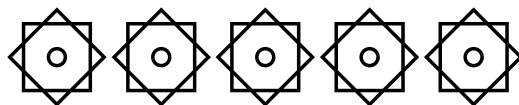
السلاسل الكلامية مسبوقة بأسئلة من قبيل: أتفهم، هل واضح ما أقول، ويمكن تصنيف هذه الأنماط من الخطابات ضمن الكلام عن الكلام نفسه، أو القول عن القول، أو اللغة عن اللغة أو الخطاب عن الخطاب، وهو ما يسمى ميتا لغة (Méta langage).

5 - الوظيفة المرجعية (Fonction référentielle): ترتبط هذه الوظيفة بعامل السياق، وقد تُرجمت بمصطلحات كثيرة إلى جانب "المرجعية"، فقد عُرفت بالوظيفة الإيحائية (Fonction démotive)، والمعرفية (Fonction cognitive)، وتتلون كل رسالة بهذه الوظيفة حينما يكون محتواها مؤيدا للأخبار الواردة فيها، باعتبار أنّ اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات تتحدث عنها، وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلّغة كما يقول "عبد السلام المسدي": «اللغة في رسالة تهيمن عليها الوظيفة المرجعية ينبغي أن تتجه إلى تفسير ذاتها من حيث كونها رموزا معبرة عن أشياء».

6 - الوظيفة الشعرية (الجمالية): ترتبط هذه الوظيفة بعامل الرسالة، وتطغى على الخطاب حينما تتجه العناية إلى مختلف الجوانب المتعلقة بالرسالة (الخطاب المرسل من الباث إلى المتلقي شكلا ومضمونا)، وهي تتمثل في مجموع الخصائص النوعية المميّزة للخطاب.



الوظائف اللغوية في علاقاتها بالعوامل التواصلية



الخلاصة التاسعة: مستويات التحليل اللساني

أولاً: المستوى الصوتي

سوف يتمّ تنزيل هذه الخلاصة وبقية الخلاصات في الأيام العديدة القادمة بحول الله

والله وليّ التوفيق.

المراجع:



1. أحمد بلحوت: محاضرة في اللسانيات العامة
2. أحمد محمد قدّور: مبادئ اللسانيات
3. أحمد مومن: اللسانيات: النشأة والتطور
4. تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها
5. تمام حسّان: مناهج البحث في اللغة
6. جورج موان: تاريخ اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، تر: بدر الدين بلقاسم
7. حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة
8. حنفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية
9. خالد هويدي ونعمة دهش الطائي: محاضرات في اللسانيات
10. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات
11. رمضان عبد التّواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي
12. روبر مارتن: مدخل لفهم اللسانيات
13. سمير شريف استيتية: اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج
14. شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة
15. عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية
16. عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات
17. عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات
18. عبد العزيز حليلي: اللسانيات العامة واللسانيات العربية
19. عبد القادر القاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية
20. فردينا ندي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز
21. ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر
22. محمد حسن عبد العزيز: علم اللغة الحديث
23. محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات
24. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي
25. محمود السعران: مدخل إلى علم اللغة
26. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة
27. مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية
28. مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة: تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفهومها
29. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)
30. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)
31. نادية رمضان التّجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين
32. نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومنهج البحث اللغوي